

وجوب لزوم منهج السلف ٢٩ / ٦ / ١٤٤١

من هم السلف؟

قال ابن منظور رَحِمَهُ اللهُ فِي: «لسان العرب»: سَلَفُ الْإِنْسَانِ مَنْ تَقَدَّمَ بِالْمَوْتِ مِنْ آبَائِهِ وَذَوِي قَرَابَتِهِ، وَلِهَذَا سُمِّيَ الصَّدْرُ الْأَوَّلُ مِنَ التَّابِعِينَ السَّلْفَ الصَّالِحَ. اهـ

وهذا المعنى جاء فيما أخرجه الشيخان عن عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لِفَاطِمَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا: «وَلَا أَرَى الْأَجَلَ إِلَّا قَدْ اقْتَرَبَ، فَاتَّقِي اللَّهَ وَاصْبِرِي، فَإِنِّي نِعَمَ السَّلْفِ أَنَا لَكَ».

وفما أخرجه مسلم عن أَبِي مُوسَى عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ إِذَا أَرَادَ رَحْمَةً أُمَّةٍ مِنْ عِبَادِهِ قَبَضَ نَبِيَّهَا قَبْلَهَا فَجَعَلَهُ لَهَا فَرَطًا وَسَلْفًا بَيْنَ يَدَيْهَا، وَإِذَا أَرَادَ هَلَكَةَ أُمَّةٍ عَذَّبَهَا وَنَبِيَّهَا حَيًّا، فَأَهْلَكَهَا وَهُوَ يَنْظُرُ، فَأَقْرَعَ عَيْنَهُ بِهَلَكَتِهَا حِينَ كَذَّبُوهُ وَعَصَوْا أَمْرَهُ».

سئلت اللجنة الدائمة برئاسة سماحة شيخنا العلامة عبد العزيز بن باز رَحِمَهُ اللهُ: ما هي السلفية، وما رأيكم فيها؟

فأجابت: السلفية: نسبة إلى السلف، وهم صحابة رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وأئمة الهدى من أهل القرون الثلاثة الأولى رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ، الذين شهد لهم رسول الله

ﷺ بالخير في قوله: «خير الناس قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم، ثم يجيء أقوام تسبق شهادة أحدهم يمينه، ويمينه شهادته».

والسلفيون: جمع سلفي، نسبة إلى السلف، وقد تقدم معناه، وهم الذين ساروا على منهاج السلف من اتباع الكتاب والسنة والدعوة إليهما والعمل بهما، فكانوا بذلك أهل السنة والجماعة.

وقال العلامة محمد بن صالح العثيمين رَحِمَهُ اللهُ فِي: «لقاء الباب المفتوح»: السلفية هي اتِّباعُ منهجِ النبي ﷺ وأصحابِهِ؛ لأنهم هم الذين سلفونا وتقدموا علينا، فاتَّبَعَهُم هو السلفية.

وأما اتخاذ السلفية كمنهج خاص ينفرد به الإنسان، ويضلل من خالفه من المسلمين ولو كانوا على حق، واتخاذ السلفية كمنهج حزبي، فلا شك أن هذا خلاف السلفية، فالسلف كلهم يدعون إلى الاتفاق والالتئام حول سنة الرسول ﷺ ولا يضللون من خالفهم عن تأويل، اللهم إلا في العقائد، فإنهم يرون أن من خالفهم فيها فهو ضال، أما في المسائل العملية فإنهم يخففون فيها كثيراً.

لكنَّ بعضَ مَنْ انتهج السلفية في عصرنا هذا صار يضل كل من خالفه، ولو كان الحقُّ معه، واتخذها بعضهم منهجاً حزبياً، كمنهج الأحزاب الأخرى التي تنتسب إلى دين الإسلام، وهذا هو الذي يُنكر ولا يمكن

إقراره، ويقال: انظروا إلى مذهب السلف الصالح ماذا كانوا يفعلون! انظروا طريقتهم وفي سعة صدورهم في الخلاف الذي يُسوغ فيه الاجتهاد، حتى إنهم كانوا يختلفون في مسائل كبيرة، وفي مسائل عقدية، وعملية، فتجد بعضهم مثلاً يُنكر أن الرسول ﷺ رأى ربّه، وبعضهم يقول: بلى، وترى بعضهم يقول: إنّ التي توزن يوم القيامة هي الأعمال، وبعضهم يرى أن صحائف الأعمال هي التي توزن، وتراهم أيضاً في مسائل الفقه يختلفون كثيراً، في النكاح، والفرائض، والبيوع، وغيرها، ومع ذلك لا يضلّ بعضهم بعضاً.

فالسلفية بمعنى أن تكون حزباً خاصاً له مميزاته ويضلّ أفراده من سواهم فهؤلاء ليسوا من السلفية في شيء.

وأما السلفية اتباع منهج السلف عقيدةً وقولاً وعملاً وائتلافاً واختلافاً واتفاقاً وتراحماً وتواداً، كما قال النبي ﷺ: «مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر». فهذه هي السلفية الحقّة. اهـ

ويمكن أن نحدد المقصود بأهل القرون الثلاثة الفاضلة، أنهم الذين عاشوا بين عامي البعثة النبوية، وتمام عام ثلاثمائة للهجرة، وتشمل هذه المدة نحو خمسة أجيال من المسلمين، وهي مجموع الطبقات الاثنتي عشرة التي وضعها الحافظ ابن حجر في كتابه "التقريب" لمن ترجم لهم

من أصحاب الكتب الستة، وتضم طبقات الصحابة، والتابعين، وأتباع التابعين، وتبع الأتباع، وتبع تبع الأتباع، وهؤلاء هم الذين يشملهم اسم السلف. وإنما أثنى عليها رسول الله ﷺ ووصفها بأنها خير القرون لأن غالب أهل تلك المدة كان يغلب عليهم صلاح المعتقد والسلوك، فكانوا على منهج النبوة والرشاد بخلاف من جاء بعدهم، الذين غلب عليهم الابتداع وسوء المعتقد والعمل، وكان الطالحون الفاسدون فيهم أكثر من الصالحين.

سبب تفضيل السلف، وتفضيل منهجهم:

قال الله تعالى: ﴿وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾.

وقال عز وجل: ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا﴾.

وقال سبحانه: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ وَالَّذِينَ تَبَوَّؤُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ

بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ وَالَّذِينَ جَاءُوا
 مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا
 تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ ﴿١٠٠﴾

وأما الأحاديث في ذلك فكثيرة، ومنها:

ما أخرجه الشيخان عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «خيرُ
 النَّاسِ قَرْنِي، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ».

وما أخرجه الشيخان عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم:
 «لَا تَسُبُّوا أَصْحَابِي، فَلَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ أَنْفَقَ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا مَا بَلَغَ مُدًّا أَحَدِهِمْ
 وَلَا نَصِيفَهُ».

وأخرج مسلم عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:
 «النُّجُومُ أَمَنَةٌ لِلسَّمَاءِ فَإِذَا ذَهَبَتِ النُّجُومُ أَتَى السَّمَاءَ مَا تُوعَدُ وَأَنَا أَمَنَةٌ
 لِأَصْحَابِي فَإِذَا ذَهَبَتْ أَتَى أَصْحَابِي مَا يُوعَدُونَ وَأَصْحَابِي أَمَنَةٌ لِأُمَّتِي فَإِذَا
 ذَهَبَ أَصْحَابِي أَتَى أُمَّتِي مَا يُوعَدُونَ».

قال النووي رحمته الله في «المنهاج»: (النُّجُومُ أَمَنَةٌ لِلسَّمَاءِ، فَإِذَا ذَهَبَتِ النُّجُومُ
 أَتَى السَّمَاءَ مَا تُوعَدُ): قَالَ الْعُلَمَاءُ مَعْنَى الْحَدِيثِ أَنَّ النُّجُومَ مَا دَامَتْ بَاقِيَةٌ
 فَالسَّمَاءُ بَاقِيَةٌ، فَإِذَا انْكَدَرَتِ النُّجُومُ وَتَنَاقَرَتْ فِي الْقِيَامَةِ وَهَنَتِ السَّمَاءُ،
 فَانْفَطَرَتْ وَانْشَقَّتْ وَذَهَبَتْ.

وَقَوْلُهُ ﷺ: «وَأَنَا أَمَنَةٌ لِأَصْحَابِي فَإِذَا ذَهَبَتْ أَتَى أَصْحَابِي مَا يُوعَدُونَ»:
 أَي: مِنَ الْفِتَنِ وَالْحُرُوبِ وَارْتِدَادِ مَنْ ارْتَدَّ مِنَ الْأَعْرَابِ، وَاخْتِلَافِ
 الْقُلُوبِ وَنَحْوِ ذَلِكَ، مِمَّا أَنْذَرَ بِهِ صَرِيحًا. وَقَدْ وَقَعَ كُلُّ ذَلِكَ.

وَقَوْلُهُ ﷺ: «وَأَصْحَابِي أَمَنَةٌ لِأُمَّتِي، فَإِذَا ذَهَبَ أَصْحَابِي أَتَى أُمَّتِي مَا
 يُوعَدُونَ». مَعْنَاهُ مِنْ ظُهُورِ الْبِدَعِ وَالْحَوَادِثِ فِي الدِّينِ، وَالْفِتَنِ فِيهِ،
 وَطُلُوعِ قَرْنِ الشَّيْطَانِ، وَظُهُورِ الرُّومِ وَغَيْرِهِمْ عَلَيْهِمْ، وَانْتِهَاكِ الْمَدِينَةِ
 وَمَكَّةَ وَغَيْرِ ذَلِكَ، وَهَذِهِ كُلُّهَا مِنْ مُعْجَزَاتِهِ ﷺ. اهـ

وَأَخْرَجَ الطَّبْرَانِيُّ فِي «الْكَبِيرِ» وَ «الْأَوْسَطِ» عَنْ أَبِي وَاقِدِ اللَّيْثِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ:
 إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: - وَنَحْنُ جُلُوسٌ عَلَى بَسَاطٍ - : «إِنَّهَا سَتَكُونُ فِتْنَةً،
 قَالُوا: وَكَيْفَ نَفْعَلُ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ فَرَدَّ يَدَهُ إِلَى الْبَسَاطِ فَأَمْسَكَ بِهِ، فَقَالَ:
 تَفْعَلُونَ هَكَذَا».

وَأَخْرَجَ ابْنُ عَبْدِ الْبَرِّ فِي: «جَامِعِ بَيَانِ الْعِلْمِ وَفَضْلِهِ»: عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ
 قَالَ: «مَنْ كَانَ مِنْكُمْ مُتَأَسِّيًا فَلْيَتَأَسَّ بِأَصْحَابِ مُحَمَّدٍ ﷺ؛ فَإِنَّهُمْ كَانُوا أَبْرَ
 هَذِهِ الْأُمَّةِ قُلُوبًا، وَأَعَمَّقَهَا عِلْمًا، وَأَقَلَّهَا تَكْلُفًا، وَأَقْوَمَهَا هَدْيًا، وَأَحْسَنَهَا
 حَالًا، قَوْمًا اخْتَارَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى لِصُحْبَةِ نَبِيِّهِ ﷺ، فَاعْرِفُوا لَهُمْ فَضْلَهُمْ،
 وَاتَّبِعُوهُمْ فِي آثَارِهِمْ؛ فَإِنَّهُمْ كَانُوا عَلَى الْهُدَى الْمُسْتَقِيمِ».

وَقَالَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ ابْنُ تَيْمِيَّةَ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي «فَتَاوَاهُ»: مِنَ الْمَعْلُومِ بِالضَّرُورَةِ

لَمَنْ تَدَبَّرَ الْكِتَابَ وَالسُّنَّةَ وَمَا اتَّفَقَ عَلَيْهِ أَهْلُ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ مِنْ جَمِيعِ
الطَّوَائِفِ: أَنَّ خَيْرَ قُرُونِ هَذِهِ الْأُمَّةِ - فِي الْأَعْمَالِ وَالْأَقْوَالِ وَالْإِعْتِقَادِ
وغيرها مِنْ كُلِّ فَضِيلَةٍ أَنَّ خَيْرَهَا - : الْقَرْنُ الْأَوَّلُ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ
الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، كَمَا ثَبَتَ ذَلِكَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ مِنْ غَيْرِ وَجْهِ، وَأَنََّّهُمْ أَفْضَلُ مِنْ
الْخَلْفِ فِي كُلِّ فَضِيلَةٍ : مِنْ عِلْمٍ وَعَمَلٍ وَإِيمَانٍ وَعَقْلِ وَدِينٍ وَبَيَانٍ وَعِبَادَةٍ،
وَأَنََّّهُمْ أَوْلَى بِالْبَيَانِ لِكُلِّ مُشْكِلٍ. هَذَا لَا يَدْفَعُهُ إِلَّا مَنْ كَابَرَ الْمَعْلُومَ
بِالضَّرُورَةِ مِنْ دِينِ الْإِسْلَامِ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ.

هل تسمى أحد من العلماء بالسلفي؟

قال الحافظ الذهبي رَحِمَهُ اللَّهُ فِي: «سير أعلام النبلاء»: مَا عَلِمْتُ يَعْقُوبَ
الْفَسَوِيَّ إِلَّا سَلْفِيًّا، وَقَدْ صَنَّفَ كِتَابًا صَغِيرًا فِي السُّنَّةِ.

وقال رَحِمَهُ اللَّهُ فِي: «السير» أَيضًا: فَالَّذِي يَحْتَاجُ إِلَيْهِ الْحَافِظُ أَنْ يَكُونَ تَقِيًّا
ذَكِيًّا، نَحْوِيًّا لُغَوِيًّا زَكِيًّا، حَيًّا، سَلْفِيًّا، يَكْفِيهِ أَنْ يَكْتُبَ بِيَدِهِ مَائَتِي
مُجَلَّدًا، وَيَحْصُلَ مِنَ الدَّوَاوِينِ الْمَعْتَبَرَةِ خَمْسَ مِائَةِ مُجَلَّدًا، وَأَنْ لَا يَفْتُرَ مِنْ
طَلَبِ الْعِلْمِ إِلَى الْمَمَاتِ، بِنِيَّةِ خَالِصَةٍ وَتَوَاضِعٍ، وَإِلَّا فَلَا يَتَعَنَّ.

وقال رَحِمَهُ اللَّهُ فِي: «السير» أَيضًا: وَصَحَّ عَنِ الدَّارِقُطَنِيِّ أَنَّهُ قَالَ: مَا شَيْءٌ
أَبْغَضُ إِلَيَّ مِنْ عِلْمِ الْكَلَامِ.

قُلْتُ: لَمْ يَدْخُلِ الرَّجُلُ أَبَدًا فِي عِلْمِ الْكَلَامِ وَلَا الْجِدَالِ، وَلَا خَاصٍ فِي

ذَلِكَ، بَلْ كَانَ سَلْفِيًّا، سَمِعَ هَذَا الْقَوْلَ مِنْهُ أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ السُّلَمِيُّ.

قَالَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ ابْنُ تَيْمِيَّةَ رَحِمَهُ اللهُ فِي «فَتَاوَاهُ»: لَا عَيْبَ عَلَيَّ مَنْ أَظْهَرَ مَذْهَبَ السَّلَفِ، وَانْتَسَبَ إِلَيْهِ، وَاعْتَزَى إِلَيْهِ، بَلْ يَجِبُ قَبُولُ ذَلِكَ مِنْهُ بِالِاتِّفَاقِ.

هل السلفية ذُكِرَتْ في كلام السلف بالمدح؟

قَالَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ ابْنُ تَيْمِيَّةَ رَحِمَهُ اللهُ فِي: «درء تعارض العقل والنقل»: فكل من أعرض عن الطريقة السلفية الشرعية الإلهية، فإنه لا بد أن يضل ويتناقض، ويبقى في الجهل المركب أو البسيط.

وَقَالَ رَحِمَهُ اللهُ فِي «فَتَاوَاهُ»: جَمَاهِيرُ الْمُسْلِمِينَ لَا يَتَأَوَّلُونَ هَذَا الْإِسْمَ، وَهَذَا مَذْهَبُ السَّلَفِيَّةِ.

وَقَالَ رَحِمَهُ اللهُ فِي «فَتَاوَاهُ»: وَاعْلَمْ أَنَّهُ لَيْسَ فِي الْعَقْلِ الصَّرِيحِ وَلَا فِي شَيْءٍ مِنَ النَّقْلِ الصَّحِيحِ مَا يُوجِبُ مُخَالَفَةَ الطَّرِيقِ السَّلَفِيَّةِ أَصْلًا.

وَقَالَ رَحِمَهُ اللهُ فِي «فَتَاوَاهُ»: وَيُقَالُ لِلطَّرِيقَةِ السَّلَفِيَّةِ: الطَّرِيقَةُ الْمُثَلَى.